تركه كافة عساكره ما عدا ثلاثمائة نفس منهم استمروا تابعين له في صداقتهم وشاركوه في نكبته
وسقوط طالع سعده فاتخذ دار مقره خوقند وهي مدينة صغيرة تساعد بحصونها وابراجها
على حياة نفسه واصحابه وهاجت في احشائه نيران الفتح والسلطنة والغلبة على الاراضي والتسلط
حدة مطامعه وموقعه هذا القبيح حرارة شبها منه وسولت له نفسه الدخول في ميدان اعمال شريفة
كبيرة وساق في فصل شتاء سنة ١٤٩٨ بعد الميلاد العصابة القليلة الملازمة له وتغلب على
كافة معاقل بلاد عيلوف سواء كان بالمعاهدة او بالهجوم او بالحيلة وكان اول ظهور طالع
سعده العظيم ان اغار على دوسف طاغاج الى طاعته ثم ارسل له السلطان محمود عمه جيشا
لمعونته واتفق في هذا الوقت ان الرؤساء العاصين وقعت منهم مظالم وجور شديد حتى
استغاث المداين في القيام عليهم وتركهم عساكرهم وفي سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد عادت اليه
مملكة ابيه بالكامل ثم بواسطة رعونته وطياشته التزم على الحرب مرة اخرى وذلك ان
جماعة من العصاة الذين كانوا سلموا انفسهم ودخلوا في طاعته دخلوا على شرط ان ترد اليهم
كافة املاكهم وكان اتباعه نهبوها بامر منه ثم خاف المغول الذين في خدمته وتركوه وساروا
عنه في عدد مؤلف من اربعة الاف نفس وعرضوا خدمتهم الى سلطان من جيرانه فصار له بهذه
الطائفة طاقة على هزيمة قوى سيدهم الاول بابر ومن بعد عدة حركات واعمال متوالية حصل اتفاق
بين بابر واخوه جهانكير ان جهانكير يلزم ان تكون له الاراضي الواقعة في شمال نهر سيره وان
يكون لبابر انديجان واورخند وفي اثناء التي يتيسر لبابر الحصول فيها على استعمار سمرقند يلزم
ان يتنازل عن الكل الى جهانكير وربط جهانكير نفسه في عقد واحد مع اخيه وضم قواه الى قوى
اخيه في الغارة على ارض سمرقند وبواسطة تكرار الطلبات صار حتى بابر على كونه يبدا
اغراضه على سمرقند ومن ثم ساق عساكره اليها الا انه من قبل وصوله اليها وردت اليه اخبار
بان كلا من سمرقند وبخارا انقلب عليها الاوزابكة اصحاب كاشغر واموا في ذلك الوقت اساس
تلك المملكة التي استمرت باقية فيما وراء النهر الى ان تغلب عليها الروسيون ثم انه في مدة غياب بابر
تغلب تانبول مرة اخرى على فرغانه وهرب بابر واتباعه الى الجبال في الجهة الجنوبية في ارض
فرغانه وفي مدة هربه هذا وردت اليه الاخبار بان شيباني خان رئيس الاوزابكة ترك
سمرقند وتوجه في بعض غزواته وترك لمحافظة المدينة حمية او ستة الاف نفس فعزم بابر على
الهجوم عليها في مدة غيابه وسار اليها في عصابته القليلة وكانت مؤلفة من مائتين واربعين
نفس راكبين خيلهم طول ليلهم ولما اخذ المحافظون راحتهم في المدينة تسلقوا اسوارها مما
دون ان يحصل منهم ادنى روع او فزع فتلقاهم اهل المدينة مع الشكر والثناء على نجاحهم واتخذوا
معهم فلما ولا نا على الهجوم على المحافظين وساعدوهم بالنبابيت والمزارق والطوب والاحجار
في طرد المحافظين عن المدينة ولما وصلت اخبار هذه الحادثة الى شيباني خان بصورة هذا
الهجوم الفجائي اسرع قافلا من غزوته فراى ابواب المدينة مسدودة في وجهه فاستجد ابنا بخارا
وخضعت شدمار وصغد بانه مع قلاعها ومعاقلها الى طاعة بابر في بضع شهور قليلة وفي
سنة ١٥٠١ بعد الميلاد سار بابر على الاوزابكة فذاق شر هزيمة قبيحة حتى انه نجى مع غاية
المشقة مع شرذمة قليلة من اصحابه ودخلوا سمرقند من بعد ان عبروا انهر كوهيك على ظهور
خيلهم وعاموه وعول بابر على ان يجعل مدينة سمرقند مقر حياته ومماته فحضر الاوزابكة هذه المدينة
وضيقوا عليها حتى الى اجرا اهلها الى اقصى درجات الاهوال والمصائب واكل الفقراء الكلاب
والقطط والحمير وكانوا يجمعون اوراق الاشجار من اجل علف الخيول وغذا بعض الناس كان
من قشور الاخشاب المخدرة مع المياه في تيار النهر ولما صار لا طاقة لاهل المدينة والعساكر على
تحمل هذه المصائب والاهوال عمل بابر هيئة تسليم وخرج من المدينة في منتصف الليل و[illegible]
ذلك سنتان كانتا على بابر من اصعب الاشياء وامرها مذاقا ذاق فيهما حرارة كل صعب وشدة
ومحنة ومهنة وكان يمشي حافي القدم في وسط الجبال مع اصحابه وقال هو بنفسه ان اقدامهم
اخذت على الحفى وصعوبة حتى صاروا في اخر امرهم لا يستشعرون بانهم ماشيين على صخر او حجر
او تراب وترك خدمه من قلة وجود الزاد والمؤنة وكان تارة يشاهد الاصعد آخر شدة ما نابه
وما حاق به من هذه المصائب والاهوال وجولانه في الجبال تحت الامطار والاخطار واقبل
عيل امره وفرغ صبره وقال في نفسه بدل الوقوع في هذه المهنة الشديدة القبيحة الاحسن لي ان
اهرب من عين كل انسان على قدر ما يمكن لرجلي ان تحملاني وعول على الرحيل الى الجهة الشمالية حتى البلاد
الصينية وفي اثناء هذه الافكار وردت اليه اخبار من فرغانه من اصحابه فيها وطلبت له امالة
عساكره اليه بواسطة همة محمود عاصمة وانضم اليه اخوه من بعد ما كان الداعداه ودعى عدوه

عدوه الخاين القديم طانبول لما عمد الى الاوزابكة الغوية فانهزم بابر ايضا وهرب مع قليل من
الناس يحارب ويضارب في كل خطوة خطاها وعقبه عدوه فيما شدة حرارته وحميته حتى ان النفر الذي
كان معه وقع جميعه واحد بعد واحد في ايدي الاعداء وضعف حصانه جدا من كثرة التعب حتى اشرف
على انها يا فقده في الاسر اثنان من عسكر طانبول ونادوا عليه بصوت المحبة والوداد ان يقف لكنه اسرع
في سيره الى بعد وقت انتهى الوقت الاولى فحلف له كل منهما قسما مؤكدا ان طانبول له رغبة شديدة في عوده
الى حكومته واقسما له ايضا بالقران الشريف انهما يكونا في خدمته مهما وجهاه حقا ومع غاية المشقة
وانضم الى عمه محمود الا انه من دون منفعة لنفسه لان شيباني خان دعاه طانبول فوصل في جيش
كثيف وهزم المغول في واقعة مهلكة واسر عمومة بابر وهرب بابر الى ارض مغوليستان واستمر
مدة سنة بتمامها يجول في ارضها في اضيق عيش وصعبة وزلة في وسط الجبال وصرف اماله من عوده
مرة اخرى الى مملكته التي ورثها عن ابيه وعزم على كونه يبحث عن طالع سعده في نواحي خراسان
ولما راى بعدم اعتبار نفسه في طول هذه المدة في ارضه ووطنه خاطر بنفسه وجال فيما وراء جبال هندو
كوه ولولا انه تقلبت عليه هذه الاهوال والشدايد وذاق شر الاخطار والمصاعب فانه سنه كان
بلغ في هذا الوقت ثلاثة وعشرون سنة فقط قال بعض المورخين ان بابر كان اشجع شجاع
في تاريخ الشرق وكان فارس اسيا وحين غاوه الكاسر صرف كامل حياته في التغلب على الممالك ثم فقدانها
من يده فكنت تراه في وقت ملك مملكة كبيرة وفي وقت ما يحكم لنفسه الا على حصن بلجى فيه وفي وقت
قائد جيش ضخم جرار وفي وقت لا طاقة له على جمع ما ينيف نفس ولما دخل بابر من بعد ما تقلبت عليه الاهوال
والاوقات في ميدان جديد من ميادين التي طرات كانت اصحابه اقل من نحو ثمانية نفس وما كان معهم
الا خيمتان وكانت بلخ او باكطريانه في ذلك الوقت تحت احكام خسرو شاه احد اخلاء عم بابر المتوفي
ومن بعد كان وزيرا لابنه وطرد خسرو هذا البرنس من سمرقند وقتله واشترك في قسمة ما كان باقيا
من ممالكه وكان بابر عند رعايا خسروشاه الذين استحوذ عليهم وارضهم في هذه الجهة محبوبا جدا و
نظروا اليه بانه هو المالك المستحق للمملكة فاتفق انه ما بعد ان وصل بابر امام المغول الذين في خدمة
خسروشاه فترعوا طاعتهم له ووصل اليه اخوه مع عموم عائلته وقدم اليه طاعته واعقب ذلك دخول
الجيش تحت طاعته وراى بابر نفسه في هذا الوقت في قوة كبيرة فسار بها الى فتح قابول وكان عمه اولغ
بك ملك تلك الارض مات في سنة ١٥٠١ بعد الميلاد اي من قبل هذه الحادثة بسنتين وترك
مملكته لابنه وكان غلاما صغيرا فطرده وزيره من مملكته ثم قام امير من قندهار قتل الوزير
وضبط المملكة وفي سنة ١٥٠٤ بعد الميلاد دخلت قابول وغزنه ما دون ضربة ولا طعنة مع
كافة ملحقاتها من الولايات في طاعة بابر فتوطن في هذه الارض والبلاد اثنان وعشرين سنة
من قبل ان يشرع في فتح الهند وتسلطنت ذريته في هذه الارض الى اخر القرن السابع عشر من
التاريخ المسيحي وكانت كافة التقلبات والاعمال التي استحوذ عليها بابر في ظرف هذه المدة محصورة
في داخل هذه الاراضي واخضع قندهار واخمد ثورة وعصاوة كان السبب فيها اخوه واهاج
حروبا على اعداه القديمة الاوزابكة وضبط باكطريانه اي بلخ وبخارا واستحوذ مرة اخرى على
سمرقند في سنة ١٥١١ بعد الميلاد الا انه من قبل ومضي اثني عشر شهرا طرده الاوزابكة منها ولو
انه ثبت في الميدان بما عرفه الفرس ومحالفتهم له وداوم على الحرب سنتان فانه تجرد من كافة فتوحاته
ما عدا بلخ في سنة ١٥١٤ بعد الميلاد
ثم اتفق انه في هذا الوقت وجه بابر التفاته نحو الهند ودخل في المشروع الذي خابره فيه دولت
خان حاكم لاهور واولاده وكانت المخابرات التي ذكرها دولت خان لبابر مصحوبة بالبيعة
له والدخول في طاعته فقبل بابر ما عرضه عليه دولت خان وما ضيع لحظة من زمن في اجراء
الاستعدادات اللازمة وسار بابر في حركة من وسط ارض الجيكوريين واخضعهم لطاعته ووضع
على اعناقهم نير سلطانه وانهزم بهار خان لودي والامراء الافغانية الذين كانوا محافظين
على بيعة السلطان ابراهيم لودي وما تقيش كلا مجازف ومحارب يغير على لاهور وارضها ونهب
جيش بابر المنصور مدينة لاهور ثم فتح ديبالبور عنوة واعقب هذا الهجوم مذبحة عمومية واما
دولت خان وكان طرده ملك دلي من لاهور وهرب الى ارض بلوجستان فانه انضم الى بابر
مع اولاده الثلاثة وتلقاهم بابر مع غاية الرحب والقبول والاحترام وعرض دولت خان
على بابر في هذا الوقت ان يفصل فرقة من عساكره ويرسلها الى ذرة اسماعيل خان وكان معه
عدة من اشراف الافغانيين جمعوا قوة عظيمة للملتقا ببابر فاضطر لاورد بن دولت خان في السر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)